

اختلاف واتفاق المعنى في الإفراد والجمع في القراءات
المتواترة من أول سورة التوبة إلى
نهاية سورة مريم (جمعاً ودراسة)



د. عبدالله بن موسى عبدالله الكثيري
الأستاذ المشارك بقسم القراءات
جامعة أم القرى

ملخص البحث

يحتوي هذا البحث على حصر واستقراء، وجمع ودراسة لما قُرئَ بالإفراد والجمع من القراءات المتواترة، واتفاقها واختلافها في المعنى، من أول سورة التوبة إلى آخر سورة مريم، وجاء بعنوان: "اختلاف واتفاق المعنى في الأفراد والجمع في القراءات المتواترة، من أول سورة التوبة إلى نهاية سورة مريم، جمعاً ودراسة".

وجاء البحث في مقدمة، وقسمين، وخاتمة تضمّنت أهم النتائج والتوصيات، وفهرس للمصادر والمراجع.

القسم الأول: يشتمل على مبحثين، والقسم الثاني: هو جمع ودراسة ما قُرئَ بالإفراد والجمع من القراءات المتواترة من أول سورة التوبة إلى نهاية سورة مريم.

مقدمة:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وأرسل رسوله بالهدى وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً مبيناً، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستنَّ بسنته إلى يوم الدين تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله امتنَّ على هذه الأمة بنعم عظيمة، من أجلها قدراً، وأعظمها منزلةً وشرفاً، أن أنزل عليها هذا الكتاب الذي فيه هدايتها، وبه سعادتها في الدنيا والآخرة، وهو - مع ما اشتمل عليه من الهدى والنور - جعله الله بيننا وضحاً، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَّجَاءُكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، هياً الله لحفظه من اعتنى بتلقيه غضاً طرياً عن

د. عبدالله بن موسى بن عبدالله الكثيري

النبي ﷺ، فأذاه إلى من بعده كما تلقاه بحروفه وقراءته، ومرجع هذه القراءات - المتنوعة المختلفة - إلى النبي ﷺ، فكلها راجعة إلى النقل الصحيح المتصل سنده إليه ﷺ؛ ولذا عدّ العلماء كل قراءة متواترة بمثابة الآية المستقلة.

ولمّا كانت القراءات مختلفة في ألفاظها، ومتنوعة في دلالتها في بعض الوجوه؛ كان لهذا التنوع والاختلاف أثرٌ في معانيها.

ومن الاختلاف في القراءات: اختلاف اللفظة القرآنية جمعاً وإفراداً، وكثيراً من هذه الألفاظ له أثره وتأثيره في المعنى في مختلف العلوم: في اللغة، والتفسير، والفقه، والعقيدة.

وبعد استقرار هذه المواضيع، وإطلاع على أثرها في المعنى، رأيتُ أن أتناول هذا الجانب بالبحث والدراسة، وعزمتُ على الكتابة فيه، وسَمَّيْتُه:

(اختلاف واتفاق المعنى في الأفراد والجمع في القراءات المتواترة، من أول سورة التوبة إلى نهاية سورة مريم، جمعاً ودراسة).

❖ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ / تظهر أهمية البحث في ارتباط العنوان بالقرآن الكريم ارتباطاً كلياً.

٢ / صنّف العلماء قديماً وحديثاً في علم توجيه القراءات، ومعانيها^(١)، وأثر اختلاف القراءات

(١) انظر: مقدمة كتاب شرح الهداية (ص: ٢٧ - ٤٠).

اختلاف واتفاق المعنى في الإفراد والجمع في القراءات المتواترة

في العلوم: كالتفسير^(١)، والفقه^(٢)، والعقيدة^(٣)، واللغة^(٤)؛ إلا أنني لم أقف على كتاب أو بحث - حسب اطلاعي وبحثي - تناول جميع ألفاظ الإفراد والجمع في القراءات في جميع القرآن وبيّن اتفاقها واختلافها في المعنى، ممّا يعطي هذا البحث أهميةً، وسبباً من أسباب اختياري له.

٣/ تحوي القراءاتُ عدداً كبيراً من الاختلافات بسبب الجمع والإفراد في الكلمة القرآنية، ممّا جعله سبباً لأن أستقرّ مواضيعها وأفردها في بحث مستقلّ.

٤/ ألفاظ الإفراد والجمع في القراءات لها أثر في المعاني في شتى العلوم، يجعلها تُبرز وتُفرد في بحث مستقلّ.

❖ خطة البحث:

قسّمتُ البحثُ إلى مقدّمة، وقسمين، وخاتمة.

المقدّمة: وتتضمّن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي في البحث.

القسم الأول: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الأثر.

المبحث الثاني: فوائد تعدّد القراءات وتنوّعها، واختلاف معانيها.

القسم الثاني: اختلاف واتفاق المعنى في الإفراد والجمع في القراءات المتواترة، من أول سورة

التوبة إلى نهاية سورة مريم.

(١) مثل: كتاب: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، للدكتور/ محمد بن عمر بازمول.

(٢) مثل: كتاب: أثر اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية، للدكتور/ عبدالله بن حسن الدوسري.

(٣) مثل: كتاب: الاختلاف في القراءات وأثره في تقرير مسائل العقيدة، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي.

(٤) مثل: كتاب: القراءات وأثرها في علوم العربية، للدكتور/ محمد سالم محيسن.

ثم الخاتمة، وتضمّنت أهم النتائج والتوصيات.

❖ منهجي في البحث:

أتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وقمّت فيه بالخطوات التالية:

١ / جمعُ واستقراء جميع ألفاظ الأفراد والجمع في القراءات المتواترة في هذا المقدار ممّا وقع

فيه الاختلاف بين الجمع، والأفراد.

٢ / كتابة الآية القرآنية التي ورد فيها الاختلاف، مرتبة حسب ورودها في القرآن، ووضعها

بين قوسين مزرکشين ﴿﴾ متبوعة باسم السورة ورقم الآية بين قوسين [].

٣ / كتابة القراءات الشاذة بالرسم الإملائي، وضبطها بالشكل، ووضعها بين قوسين هلالين

()، متبوعة باسم السورة ورقم الآية.

٤ / كتابة موضع الاختلاف بالرسم العثماني لجميع القراءات العشر المتواترة.

٥ / بيان اختلاف القراء في الموضوع المراد دراسته، وتوثيقه من المصادر الأصيلة.

٦ / دراسة أثر المعنى في قراءة الأفراد اتفاقاً واختلافاً، والتوثيق من المصادر والمراجع

الأصيلة.

٧ / الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث؛ عدا الأنبياء — عليهم السلام —،

والصحابية — رضي الله عنهم —، وقرّاء القراءات المتواترة.

٨ / كتابة البحث وفق قواعد الإملاء الحديث، واستخدام علامات الترقيم اللازمة.

القسم الأول: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الأثر:

تدور مادة (أ — ث — ر) حول ثلاثة أصول^(١):

الأول: تقديم الشيء، تقول: لقد أثرتُ بأن أفعلَ كذا، تعني: هممت.

الثاني: ذكر الشيء، تقول: ما حلفتُ أثراً ولا ذاكراً، تعني: ما حلفتُ مُخبراً عن غيري أنه حلف، ولم أذكر ذلك عن نفسي.

الثالث: رسم الشيء، ومنه الأثارة في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَرَوْا مِنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]، أي: بقيّة من علم.

وذكر الجرجاني^(٢) أن للأثر ثلاثة معانٍ^(٣):

الأول: بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء.

الثاني: بمعنى: العلامة.

الثالث: بمعنى: الجزء.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٥٣ - ٥٧)، لسان العرب: مادة: أثر (٣/ ٥٩، ٦٠)، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (١/ ٤٨٥).

(٢) علي بن محمد بن علي الحسيني، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفًا، منها "التعريفات"، "مقاليد العلوم"، "حاشية على الكشاف"، وغيرها، توفي سنة ٨١٦هـ. انظر: الأعلام (٧/ ٥).

(٣) انظر: التعريفات (ص: ٧).

وظاهرٌ أن هذه المعاني التي ذكرها الجرجاني كلها من الأصل الثالث لسادة (أثر)، وهو: "بقية الشيء"، أو "رسم الشيء الباقي"^(١).

وفي دراستي لهذا البحث: فإنما أريد بيان النتيجة الحاصلة من اختلاف واتفاق ما قرئَ بالإنفراد والجمع من القراءات المتواترة، وتأثيرها في المعنى.

المبحث الثاني: فوائد تعدد القراءات وتنوعها، واختلاف معانيها:

إن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة إنزال القرآن العظيم، ولم يجعل على عباده حرجاً في دينهم، ولا ضيق عليهم فيما افترض عليهم، وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومثونة شديدة، فيسر الله عليهم قراءته باختلاف قراءته بمعانٍ متفقة ومختلفة؛ ليقرأ كل قوم على لغتهم، وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم، فقوم جرت عادتهم بالهمز وقوم بالتخفيف، وقوم بالفتح وقوم بالإمالة، وكذلك الإعراب واختلافه في لهجاتهم، والحركات واختلافها في لغاتهم، وغير ذلك، فتنصّح كل قوم، وقرأوا على طبعهم ولغتهم، ولغة من قرّب منهم، وكان في ذلك رفق عظيم بهم، وتيسير كثير عليهم^(٢).

وهذا الاختلاف في القراءات هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضادّ وتناقض، فليس في شيء من القراءات تنافٍ ولا تضادّ ولا تناقض^(٣)، وهذا الاختلاف لا يخلو من ثلاثة أحوال:

(١) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٤٨٦/١).

(٢) انظر: الإبانة (ص: ٩١، ٩٢).

(٣) انظر: المرشد الوجيز (ص: ١١١)، النشر (١/٢٢٣، ٢٢٧).

اختلاف واتفاق المعنى في الأفراد وجميع في القراءات المتواترة

الأول: اختلاف اللفظ، والمعنى واحد.

الثاني: اختلافها جميعاً، مع جواز اجتماعها في شيء واحد.

الثالث: اختلافها جميعاً، مع امتناع جواز اجتماعها في شيء واحد؛ بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد^(١).

وبيّن الإمام ابن الجزري^(٢) فائدة اختلاف القراءات وتنوعها، وقال: «وأمّا فائدة اختلاف القراءات وتنوعها، فإن في ذلك فوائد غير ما قدّمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة:

منها: ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كلُّ بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جُعِلت دلالة كلِّ لفظ آية على حدّتها لم يخفَ ما كان في ذلك من التطويل.

ومنها: ما في ذلك من عظيم البرهان، وواضح الدلالة؛ إذ هو — مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه — لم يتطرق إليه تضادٌّ ولا تناقض ولا تخالف؛ بل كلُّه يُصدّق بعضه بعضاً، ويشهدُ بعضُه لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع

(١) انظر: النشر (١/ ٢٢٤).

(٢) محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف بن الجزري، أبو الخير، شمس الدّين، الدّمشقي، الشّافعي، المُقرئ، الحافظ، لهجّ بطلب الحديث والقرآن، وبرّر في القراءات، وصنّف فيها التّصانيف النافعة، وأشهر مؤلفاته كتابه العظيم "النشر في القراءات العشر"، توفي سنة ٨٣٣هـ. انظر: غاية النهاية (٢/ ٢٤٧)، إنباء الغمّر (٣/ ٤٦٦).

على صدق من جاء به × .

ومنها: سهولة حفظه، وتيسير نقله على هذه الأمة؛ إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى إلى قبوله من حفظه جُملاً من الكلام توذي معاني تلك القراءات المُختلفات، لا سيما فيما كان خطه واحداً، فإن ذلك أسهل حفظاً، وأيسر لفظاً.

ومنها: إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يُفْرِغون جُهدهم ليلبغوا قِصدهم في تتبُّع معاني ذلك، واستنباط الحِكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفيِّ إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل، والترجيح والتفصيل، بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ [آل عمران: ١٩٥]، والأجر على قدر المشقة.

ومنها: بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقِّيهم كتاب ربهم هذا التلقِّي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وتحرير تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حَمَّوه من خلل التحريف، وحفظوه من الطُّغيان والتطفيف، فلم يُهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترفيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدَّات وتفاوت الإمالات، وميَّزوا بين الحروف بالصفات، ممَّا لم يهتد إليه فكرُ أمة من الأمم، ولا يُوصَلُّ إليه إلا بالهام باري النَّسم.

ومنها: ما أَدَّخَره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها، خصيصة الله تعالى لهذه الأمة

اختلاف واتفاق المعنى في الأفراد والجمع في القراءات المتواترة

المُحَمَّدِيَّة، وإعظماً لقدراً أهل هذه الملة الحنيفية، فكل قارئ يُوصِل حروفه — بالنقل — إلى أصله، ويرفع ارتياب المُلجِد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفّت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت.

ومنها: ظهور سرّ الله تعالى في تولّيه حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزّل بأوفي البيان والتميز، فإن الله تعالى لم يُخلِ عصراً من الأعصار، ولو في قُطرٍ من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى، وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على ممرّ الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصُدور^(١).

القسم الثاني: اختلاف واتفاق المعنى في الأفراد والجمع في القراءات المتواترة، من أول سورة التوبة إلى نهاية سورة مريم.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ بِالْكَفْرِ أُوتِيَكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].
القراءة: قرأ البصريان وابن كثير {اعذّوز اعذّوز} على الأفراد، وقرأ الباقون ﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ على الجمع^(٢).

أثر القراءة على المعنى: دلّت قراءة الجمع هنا على معنى جميع المساجد، فلفظ الجمع

(١) النشر (١/ ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢).

(٢) انظر: التجريد (ص: ٢٣٣)، النشر (٤/ ٢٣٤٢).

يشمل المسجد الحرام — الذي دلّت عليه قراءة الأفراد — وغير المسجد الحرام من المساجد؛ لأن المشركين ليسوا بأولياء بها، والحكم يشمل الجميع، إذ ليس للمشركين عمارة شيء من مساجد الله، ومما يقويه قوله بعده ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [١٨] (١). وقد حمل بعض المفسرين معنى الجمع على معنى الأفراد وأن المقصود به المسجد الحرام، وتوجيه الجمع محتمل لأمرين: إما لأن كل بقعة ومكان من المسجد الحرام يُقال لها مسجد، وإما لأنه قبلة لسائر المساجد وإمامها، فكان عامرُ المساجد، فصَحَّ أن يُطلق عليه لفظ الجمع لذلك (٢).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

القراءة: قرأ شعبة {أعدتاء} بالألف على الجمع، وقرأ الباقون ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ بغير ألف على الأفراد (٣).

أثر القراءة على المعنى: معنى الجمع ووجهه أن لكل واحد من المُخاطَبين له عشيرة، فإذا

(١) انظر: الحجّة لابن خالويه (ص: ١٧٤)، الكتاب المختار (١/ ٣٥٢)، الحجّة لابن زنجلة (ص: ٣١٦)،

الكشف (١/ ٥٠٠)، شرح الهداية (ص: ٥١٧)، الموضح (٢/ ٥٨٩).

(٢) انظر: الكشف (٢/ ١٤٣)، البحر (١٤/ ١٦٤)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٤٣).

(٣) انظر: العنوان (ص: ١٢٠)، النشر (٤/ ٢٣٤٤).

اختلاف واتفاق المعنى في الإفراد والجمع في القراءات المتواترة

جُمِعَتْ قال: "عشيرتكم" من حيث كان المراد بهم الجمع، وهذه القراءة حجة على من قال بأن عشيرة لا تُجمع بالألف والتاء "عشيرات"، وإنما تُجمع على "عشائر" جمع تكسير، ومن قرأ بالإفراد فلأن العشيرة تؤدي عن معنى الجمع^(١).

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

القراءة: قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ ﴾ على الإفراد مع فتح التاء، وقرأ الباقون {أذراءءذراءءذراءء} على الجمع وكسر التاء^(٢)، وورد الاختلاف كذلك في موضع هود^(٣)، والمؤمنين^(٤).

أثر القراءة على المعنى: المصادر إذا اختلفت ضر وبها جاز جمعها؛ لأن المانع عن جمع المصادر هو كونها جنساً يقع على القليل والكثير بشموله لهما، فإذا اختلفت أنواعها خرج اللفظ من أن يكون مبنياً على اختلافها، فجاز تثنيها وجمعها لذلك، والصلاة هنا اسم جنس

(١) انظر: الحجة للفارسي (٤/١٨٠)، الكشف (١/٥٠٠)، شرح الهداية (ص: ٥١٧)، الموضح (٢/٥٨٩)، زاد المسير (٣/٤١٢)، البحر (١٤/١٧٧)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/٥٤).

(٢) انظر: الغاية (ص: ٢٧١)، النشر (٤/٢٣٥١).

(٣) قوله تعالى: ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ [٨٧]، قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بالإفراد، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: الغاية (ص: ٢٧١)، النشر (٤/٢٣٧٩).

(٤) قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ ﴾ [٩]، قرأ حمزة والكسائي وخلف بالإفراد، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: الغاية (ص: ٣٣٣)، النشر (٤/٢٤٨٨).

على قراءة الأفراد، وهو بمعنى الدعاء في موضع التوبة؛ ولأن الدعاء تختلف أجناسه وأنواعه، وترداده ومعاودته، فجمع، أي: دعواتك سكنٌ لهم، ويقوي الجمع في موضع التوبة الإجماع قبلها على جمع ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ [٩٩]، وهو كذلك في موضع هود، على معنى تعدد أنواع الدعاء واختلاف أجناسه فجمع، وقيل بمعنى: عبادة الصلاة؛ وجمعت لتعدد أنواعها ما بين فرض ونفل، وقيل بمعنى: قراءتك، وقيل بمعنى: مساجدك، وأما موضع سورة المؤمنين فدلَّ جمعه على إرادة الفرائض الخمس، أو الفرائض والنوافل معاً، بعكس قراءة الأفراد التي دلَّت على جنس الصلاة، ويقوي الجمع قوله تعالى ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ومن أفرد فلأنه مصدر يؤدي عن معنى الواحد والجمع^(١).

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِيْسِلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

القراءة: قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي {اءراءة} بإسكان الطاء على الأفراد، وقرأ الباقون

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/٦٦٣)، (١٢/٥٤٧)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٧٧)، الكشف (١/٥٠٦)، شرح الهداية (ص: ٥٢٢)، الموضح (٢/٦٠٤، ٨٩١)، تفسير القرطبي (١١/١٩٣)، البحر (١٥/٤٥١)، الشفاء في علل القراءات (ص: ٤٤٧)، الباب في علوم الكتاب (١٠/٩٥)، (١٤/١٧٤)، المغني لابن محيسن (٢/٢١٥، ٢٥٨)، (٣/٥٩).

﴿قَطَعًا﴾ بفتح الطاء على الجمع^(١).

أثر القراءة على المعنى: ﴿قَطَعًا﴾ بفتح الطاء جمع قِطْعَةٍ، مثل: خِرْقَةٌ وَخِرْقٌ، وَكِسْرَةٌ وَكِسْرٌ، وَدِمْنَةٌ وَدِمْنٌ، والمعنى: كأننا أغشي وجه كل إنسان منهم قطعة من الليل، ثم جُمِعَ ذلك؛ لأن الوجوه جماعة، و﴿مُظْلِمًا﴾ حال من ﴿أَلَيْلٍ﴾، فيصبح المعنى: كأننا أغشيت وجوههم قِطْعًا من الليل في حال ظلمته، ومن أسكن الطاء على الأفراد فأراد به واحد^(٢).

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ﴾ [يوسف: 7].

القراءة: قرأ ابن كثير {ءاروأز} بغير ألف على الأفراد، وقرأ الباقون ﴿آيَاتٌ﴾ بالألف على الجمع^(٣)، وورد الاختلاف كذلك في موضع العنكبوت^(٤).

أثر القراءة على المعنى: دلَّت قراءة الجمع على أن قصة يوسف — عليه السلام — اشتملت على آيات كثيرة، لاختلاف أحواله، ولانتقاله من حال إلى حال، فكل فعل من أفعاله

(١) انظر: الإقناع (٢/ ٦٦١)، النشر (٤/ ٢٣٥٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٦٨)، إعراب القرآن للنحاس (ص: ٤٠٧)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٨١)، الحجة لابن زنجلة (ص: ٣٣٠)، الكشف (١/ ٥١٧)، شرح الهداية (ص: ٥٢٧)، الموضح (٢/ ٦٢٢)، الشفاء في علل القراءات (ص: ٤٧١)، تفسير ابن جزي (٢/ ٥٤٦)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٣١٢).

(٣) انظر: مفردة ابن كثير (ص: ٦٢)، النشر (٤/ ٢٣٨٨).

(٤) قوله تعالى: ﴿آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [٥٠]، قرأ ابن كثير وحمة والكسائي وخلف وشعبة {ءاروأز} على الأفراد، وقرأ الباقون على الجمع. انظر: التيسير (ص: ٣٥٨)، النشر (٤/ ٢٥٤٠).

وأمر من أموره آية، مثل: طرحهم يوسف في الجُبِّ، والتقاط السيارة إيَّاه، وخبره مع امرأة العزيز، واجتماعه بأخيه وأبويه، وما أشبه ذلك^(١).

وورد في التفسير أن المعنى: دلالة على نبوة الرسول ﷺ في إخباره لأحداث قصة يوسف — عليه السلام — من غير تعلُّم ولا مطالعة، فاقترصاص كل طائفة من القصة آية بيِّنة كافية في الدلالة على نبوته عليها الصلاة والسلام، ومنقرأ بالإنفراد فلأن قصة يوسف عليه السلام وإخوته آية واحدة، يقوي ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]^(٢).

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَفْقَهُوا يُوسُفَ وَالْقُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقُظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠].

القراءة: قرأ نافع وأبو جعفر {اءروأو اءروآء} بالألف على الجمع في موضعي يوسف^(٣)، وقرأ الباقون ﴿غَيْبَتِ﴾ على الأفراد^(٤).

أثر القراءة على المعنى: {اءروآء} جمع غيابة، وغيابات الجُبِّ أي: ظلَّم البئر ونواحيها؛ لأن البئر لها غيابات وأجزاء كثيرة، فسمَّى كل جزء غيابة، والغيابة ما غيَّب عنك، ومن قرأ

(١) انظر: الحجة لابن خالويه (ص: ٩٣)، الحجة لابن زنجلة (ص: ٣٥٥)، الكشف (٥/١)، شرح الهداية (ص: ٥٤٥)، الموضح (٢/٦٦٨).

(٢) انظر: تفسير النسفي (٢/٩٦)، اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٠)، تفسير أبي السعود (٤/٢٥٥).

(٣) والموضع الثاني هو: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ [١٥].

(٤) انظر: النشر (٤/٢٣٨٨)، تقريب النشر (٢/٥٤٥).

اختلاف واتفاق المعنى في الإفراد وجمع القراءات المتواترة

بالإفراد فلأن الجبَّ غيابة، ولو كان فيه غيابات كثيرة؛ لكان لفظ الواحد يؤدي عن معناها^(١).

الموضع السابع: قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢].

القراءة: قرأ نافع وأبوجعفر وابن كثير وأبو عمرو {اءوئا} على الإفراد، وقرأ الباقون ﴿الْكُفْرُ﴾ على الجمع^(٢).

أثر القراءة على المعنى: دلَّت قراءة الإفراد على أن الكافر اسم جنس، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، فيكون ذلك بمعنى قراءة من قرأ ﴿الْكُفْرُ﴾، وقد قيل: إن الكافر هنا يُعنى به أبو جهل، ودلت قراءة الجمع على معنى الآية، وهو أن التهديد لم يقع لكافر واحد؛ بل لجميع الكفَّار، فوافق اللفظ المعنى، وجاء لفظ ﴿الْكُفْرُ﴾ بعد قوله ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، فجاء بلفظ ما تَقَدَّمه؛ ليأْتلف الكلام على سياق واحد، ومما يدل على هذا المعنى ورود روايات شاذة بلفظ الجمع^(٣)، فعن ابن مسعود (وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُونَ)، وعن أبي (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا)^(٤).

(١) انظر: الحجة لابن خالويه (ص: ١٩٣)، الحجة لابن زنجلة (ص: ٣٥٥)، الكشف (٥/٢)، شرح

الهداية (ص: ٥٤٥)، الموضوع (٦٧٠/٢)، اللباب في علوم الكتاب (٢٧/١١).

(٢) انظر: النشر (٤/٢٤٠١)، تحبير التيسير (ص: ٤٢٣).

(٣) انظر: الحجة لابن خالويه (ص: ٢٠٢)، إعراب القراءات السبع وعللها (٣٢٣/١)، الحجة لابن

زنجلة (ص: ٣٧٥)، الكشف (٢٣/١)، شرح الهداية (ص: ٥٥٩)، الموضوع (٧٠٥/٢).

(٤) انظر: المصاحف لابن أبي داود (٣٢٠/١)، المغني للدَّهَّان (١٠٦٥/٣)، شواذ القراءات (ص: ٢٥٧).

الموضع الثامن: قال تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

القراءة: قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ﴿كَيْسَفًا﴾ بفتح السين على الجمع، وقرأ الباقون {كَيْسَفًا} بإسكان السين^(١)، وورد الاختلاف كذلك في سورة الشعراء^(٢) والروم^(٣) وسبأ^(٤).
أثر القراءة على المعنى: كَيْسَفٌ جمع كَيْسَفَةٍ، مثل: قِطْعٌ وقِطْعَةٌ، وفِرْقٌ وفِرْقَةٌ، وكَيْسَرٌ وكَيْسَرَةٌ، والمعنى: أو تُسْقِطُ السماءَ علينا قِطْعًا، أي: قطعة بعد قطعة، وإسكان السين هو مفرد واحد^(٥).

الموضع التاسع: قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَتَوِيكَ مَالًا

(١) انظر: الإرشاد (٧١٣/٢)، النشر (٢٤٣٣/٤).

(٢) قوله: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [١٨٧]، قرأ حفص لوحده بفتح السين، وقرأ الباقون بإسكانها. انظر: الإرشاد (٧١٣/٢)، النشر (٢٤٣٣/٤).

(٣) قوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كَيْسَفًا﴾ [٤٨]، قرأ حفص لوحده بفتح السين، وقرأ الباقون بإسكانها. انظر: الإرشاد (٧١٣/٢)، النشر (٢٤٣٣/٤).

(٤) قوله: ﴿أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كَيْسَفًا﴾ [٩]، قرأ أبو جعفر وابن عامر بخُلْفٍ عن هشام بفتح السين، والباقون بإسكانها. انظر: الإرشاد (٧١٣/٢)، النشر (٢٤٣٣/٤).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (ص: ٥٠٢)، إعراب القراءات السبع وعللها (٣٨٣/١)، الكتاب المختار (٤٨٥/١)، الحججة لابن زنجلة (ص: ٤١٠)، الكشف (٥١/٢)، شرح الهداية (ص: ٥٧٨)، تفسير القرطبي (١٣/١٧٥).

وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ [مريم: ٧٧].

القراءة: قرأ حمزة والكسائي {الادد} في هذا الموضع وبقية مواضع مريم^(١) وموضع الزخرف^(٢): بضم الواو وإسكان اللام، وقرأ الباقون بفتح الواو واللام^(٣)، وورد الاختلاف كذلك في موضع نوح^(٤).

أثر القراءة على المعنى: "وُلِدَ" بضم الواو وإسكان اللام، جاء في معناها أنه يجوز أن تكون جمع وُلِدَ، مثل: أَسَدٌ وَأُسْدٌ، وَوُثْنٌ وَوُثْنٌ، وعلى توجيه الجمع فالمعنى ظاهر، وهو الكثرة في العدد، لا إرادة المفرد ولا الجنس، وقد جاء "وُلِدَ" يُعْنَى به الواحد في كثير من الكلام^(٥).

(١) وهي: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [٨٨]، ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [٩١]، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [٩٢].

(٢) ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ [٨١].

(٣) انظر: الكافي (ص: ١٣٥)، النشر (٤/ ٢٤٦).

(٤) ﴿مَالَهُمْ وُودُهُ﴾ [٢١]. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم بفتح الواو واللام، وقرأ الباقون بضم الواو وإسكان الميم. انظر: الكافي (ص: ١٣٥)، النشر (٤/ ٢٧٠٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٦٢٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤٤)، إعراب القرآن للنحاس (ص: ٥٣٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٣٩)، تفسير الساوردي (٣/ ٣٨٧)، الكشف (٢/ ٩٢)، شرح الهداية (ص: ٦٠١)، تفسير القرطبي (١٣/ ٥٠٧).

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأوّلين والآخريين، سيّدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،،، أما بعد:

في نهاية هذا البحث وختامه، أحمّد الله على تيسيره وتوفيقه بإتمامه، وأن يجعله خالصاً لوجهه العظيم، وأن ينفع به، وقد خلصتُ منه ببعض النتائج والتوصيات.

❖ أبرز نتائج البحث:

- ١ / بلغ عدد مواضع الأفراد والجمع في القراءات التي تناولها البحث: ٩ مواضع.
- ٢ / ألفاظ الأفراد والجمع التي تناولها البحث ظهر اتفاقها في المعنى في بعض المواضع، وظهر اختلافها في مواضع أخرى، مما دلّ على أن الجمع بمعنى الأفراد أحياناً، ويخالفه أحياناً.
- ٣ / ظهر من خلال البحث تعدّد وتنوّع المعاني التي دلّت عليها قراءة الأفراد والجمع، بعضها في اللغة، وبعضها في التفسير، وبعضها في الفقه والأحكام، وهذا الاختلاف هو تنوع وتغاير، لا تناقض وتضادّ.

❖ أبرز توصيات البحث:

- ١ / أوصي بدراسة المظاهر الأخرى من اختلاف القراءات في بحوث مستقلة، كدراسة قراءة التثنية وأثرها في المعنى.
- ٢ / أوصي بطباعة الرسائل العلمية التي عنيت بتوجيه قراءات القراء الثلاثة المتممين للعشرة، وهم أبو جعفر ويعقوب وخلف؛ لقلّة مصادر توجيه قراءاتهم.
- ٣ / أوصي بجمع ما سطره المفسّرون من توجيه للقراءات الثلاثة المتممة للعشرة،

اختلاف واتفاق المعنى في الأفراد وجميع في القراءات المتواترة

وإخراجه في كتاب مستقل؛ لقلة الكتب التي اعتنت ببيان معاني هذه القراءات وأثرها في المعنى.

٤ / أوصي بجمع ودراسة التوجيه في تفسير "اللباب في علوم الكتاب" للإمام ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠هـ)، فهو من المصادر الأصيلة في بيان معاني القراءات وتوجيهها.